مجلة المدى / تموز ١٩٩٦

كيف تصل إلى ملء المعرفة؟

مسيرة لبناني في اختبار الايزوتيريك

بنعدي السبق الاقصى احياناً حيزة الضيق بثب من اسر حضوره الجغرافي الحشور بين حزمة من خطوط الطول والعرض مؤسساً لحضور آخر استثنائي في الذاكرة والوجود يلامس حدود الاساطير حيناً ولا يفقد على الرغم من ذلك ارتباطه الوثيق بأرض الواقع.

حضور فتان متميز يزيده رسوخاً ونوهجاً نفر من العلمين والحكماء من المفكرين الهنود الاوائل الى بوذا ولاتسووفي وسط هذا الحضور بقف الهملايا بجلال وانفة مثل اطلس من حجر يحمل السماء وعلى هذا الاساس تفهم الصرخة الشهيرة التي اطلقها عالم النفس السويسري كارل يونغ اثر عودته الى اوروبا بعد سنوات خمس امضاها في رحاب الهملايا: "ان علم النفس الغربي طفل اذا ما قورن بعلم النفس الشرقي" والى حدود ذلك الهيملايا وصل الدكتور جوزيف مجدلاني يوماً بعدما تسكع على ارصفة مدارس المعرفة، باحثاً عن شيء ما. استثنائي تضج في رأسه اسئلة محيرة لم يلق عنها اجابة عاقداً العزم على العودة الى لبنان لتأسيس اول مركز لهذا العلم في العالم العربي.

وعندما دوّن جوزيف مجدلاني اسمه في السجل المحفوظ داخل المقر الرسمي للايزوتيريك في الهملايا، بحثّ عبناه طويلاً بشغف عن اسم عربي واحد ينتمي الى العصر الحديث الا ان مسعاه لم يثمر نجاحاً فآخر الاسماء العربية المدونة يرقى الى ستمئة سنة خلت: ابن خلدون بسبقه بقليل من السنين توقيع لفيلسوف آخر هو ابن عربي. ويؤكد جوزيف مجدلاني "من يقرأ ابن خلدون يتمعّن متجاوزاً المعنى الظاهر لما يكتبه الى ما هو اعمق يتضح له فيما خلف السطور ان ابن خلدون مفكّر ايزوتيريكي بامتياز"

ما هو علم الايزوتيريك؟

ان يدركه الفلسفة وبالتالي (قبل ان) يدركه "العلم" فالايزوتيريك اين سابق للاكتشافات العلمية وللفلسفة على السواء انه الينبوع الذي يستقيان منه حقائقهما

وعلى هذا الاساس فالايزوتيريك لا ينقض العلم او الفلسفة بل يكملهما وما تم اكتشافه من الحقائق يخرج من دائرة اهتمام الايزوتيريك الذي يحاول تسليط الاضواء على ما خفي منها انه الكشاف الذي ينبغي للعلم والفلسفة ان يسيرا إثره.

اي جذور لهذا العلم ؟

وجد الايزوتيريك منذ اللحظة التي استوى فيها الوعي داخل الانسان ــ يقول مجدلاني ــ الا انه ظل حكراً على الملوك والاعيان والبلاء باعتبار ان المعرفة سامية ويجب ان تقدم بحكمة. ويخبرنا التاريخ القديم ان الكلدانيين والاشوريين والبابليين كانوا يملكون معارف ايزوتيريكية ومثلهم الفلاسفة الرافدين في اليونان وكهنة مصر القديمة وهم بنوا الهرم على سر ايزوتيريكي.

في كتابه "علم المعرفة ومعرفة العلم" يغوص الدكتور مجدلاني في ما يتجاوز النطاق الذي حدث عنه هيرودتس في التاريخ مؤكداً ان سكان "الاتلانتيد" تلك القارة المفقودة كانوا على بينة تامة من علوم الايزوتيريك حيث كان انسان تلك القارة على اطلاع شامل بكل علم بمت الى وجوده وكيانه بصلة. وكانوا على بينة من خبايا الامور وبواطن الاشياء حتى انه لم يكن في حاجة الى معاهد خاصة تقدم له علوم الايزوتيريك لان هذه العلوم كانت للنهج الذي يدرس رسمياً في دور العلم والجامعات وما الجمهورية الفاضلة لأفلاطون سوى وصف اولي لنوع الحكم في هذه القارة التي غرقت واندثرت عام ٩١٥٤ قبل الميلاد. لان الانسان شرد عن درب الحقيقة وفقد مكانته السامية من جراء سوء اعماله وخسر ما كان ينعم به من علم ومعرفة.

وقصة الطوفان هي في الواقع غرق الاتلانتيد. اما سفينة بل سفن نوح فهي ترمز الى الناجين من الغرق في تلك الازمان وهم جماعة هاجرت من القارة رافضة الاجراف في خطيئة الشرود عن المعرفة.

ولكن درب التواصل بين الامس واليوم لم تكن ممهدة دوماً فالمعارف الايزوتيريكية اتخذت في احيان كثيرة شكل الرموز "حتى جاء فرويد ــ يتابع الدكتور مجدلاني ــ وقال بوجود الوعي الباطني داخل الانسان وبذلك فتح الباب الاول على الايزوتيريك في العصر الحديث.

من هم اتباع الحركة ؟

الايزوتيريك مركز نفافي وليس حركة. لديه منتسبين يتعلمون علوم الايزوتيريك في عدة انحاء من لبنان والعالم العربي وهم يتدربون على الاستفادة القصوى من طاقاتهم وعن افادته الشخصية من تلك العلوم يجيب مجدلاني دون تردد "في الطريقة العملية الوظيفية. العمل الذي كان يتطلب جهد ثلاث ساعات اصبحتُ اقضيه بنصف ساعة. وقد تعلمت كيفية المحافظة على الصحة الجسدية بالغذاء المتوازن وتراني لا ازور طبيباً وتابع: ان الايزوتيريك هو نهج حياة ومعرفة تطبيقية لا تتعارض مع اي شيء شرط ان نحدد ماذا نريد ونتصرف على هذا الاساس.

واضاف: ان العامل الاهم الذي يميز منهج الايزوتيريك عن سائر مناهج علوم الذات بما فيها مدارس البوغا والتأمل هو العامل الحياتي العملي الذي يقدم للمرء نموذج وعي متكامل يتطور بواسطته تدريجياً.

واهمية الايزوتيريك ليست التركيز على الباطن واهمال صحة الجسد وخاجاته على غرار ما تقدمه بعض معاهد المعرفة الشائعة لكن في الوقت نفسه لا يكفي المرء التركيز على الجسد والوقوف عند حدوده اسوة بمناهج علوم التغذية.

نمط عيش وحياة

وفي مقابلة لنا مع شاب من سلكوا درب الوعي يعدد لنا الفوائد العملية التي يقدمها الايزوتيريك الى الانسان الطامح الى الوعي الحياتي على أنها:

ــ نظام غذائي متكامل خال من كل ما من شأنه ان يجلب الامراض او يتسبب بنقص في العناصر الغذائية، محتو على كل ما يقوي المناعة الجسدية ويحصّن الجسم ضد الامراض.

ــ نظام حياتي مترابط متناسق مع النظام الغذائي من شأنه الالتزام بهذين النظامين شفاء معظم الامراض التي تصيب الجسم.

ــ توسيع مقدرة التفكير بحيث يمتلك المرء ابعاداً فكرية تؤهله لمواجهة العراقيل الحياتية وايجاد المخارج للمصاعب التي تعترضه.

ــ تقوية الملكات العقلية التي يجدر بالانسان امتلاكها وأهمها:

ــ الذاكرة الناشطة، الفكر المتألق الواسع المتفتح والمنفتح، المقدرة على التحليل والاستنتاج وطاقة ذاتية اضافية على العمل حيث ينهي المرء اعماله لا بل وينفقها بأقل وقت وجهد ممكنين.

ــ التحكم بالمشاعر والاحاسيس وامتلاك الاعصاب القوية بحيث يصبح الكيان ككل وبخاصة العواطف فيه تحت إمرة العقل والارادة الواعية.

تفتح ما يدعى بالحس الباطني في مفهوم الايزوتيريك او حب تذوق الفنون على انواعها بحيث يكتسب المرء حساً فنياً ملهماً وشفافية ذاتية ملهمة تساعده على فهم الاعمال الفنية وتذوقها بما تتضمنه من رسم وموسيقى وادب.

ــ ادراك هدف الحياة عبر تفهم كل العثرات التي يصادفها الانسان في حياته فما للمشاكل والصعاب والمنغّصات الحياتية سوى رسائل نوعية ترسلها الحياة الى الجميع عند لحظات السعادة والشقاء، الراحة والتعبة اي ازدواجية الحياة. لكن قلة هم الذين يفهمون معناها او ينتبهون الى مغزاها. والايزوتيريك يعلم المرء كيف يحلل تلك الرسائل الحياتية ويستخلص العبرة منها فيتعلم الانسجام مع نفسه ومع الحياة من خلال المعاملة الحسنة. وهذا اهم ما يمتلكه سالك منهج الايزوتيريك. وهذا ما يؤدي تدريجاً الى اكتساب حس الحكمة. تلك الميزة الالهية السامية التي يتحلى بها كبار الحكماء الاجلاء.

واعود لأسأل الدكتور مجدلاني عن موقف الايزوتيريك من سائر مدارس المعرفة فيجيب: ليست البوغا والبارابسيكولوجيا وغيرها من مدارس المعرفة سوى اوراق فوق شجرة الايزوتيريك.

فالبارابسيكولوجيا مثلاً تحاول تفسير الظواهر انطلاقاً من الجسد فحسب، اي تأخذ البُعد المادي وتكتفي به. اما اليوغا فتعنى بالخاصة الفيزيائية والتنظيمية وتعمل على الجسد فقط وهو واحد من سبعة اجسام باطنية. اي انها تكتفي بجزء واحد وتهمل ستة اجزاء دفعة واحدة وبالنسبة للمهاريشي فقد التقيتهم في مركز عمر الخيام التربوي في البقاع حيث كان مؤتمر لمدارس المعرفة وقد توجهوا الي بعد سماعهم محاضرتي بالقول "اننا نملك قواسم مشتركة كثيرة فلماذا لا نعمل سوياً ؟"

وكان جوابي امام الجميع "من يملك الاقل ينضم عادة لمن يملك الاكثر ونتيجة الاقتراح معروفة سلفاً".

غسان حجّار

الدكتور جوزف مجدلاني قصد جبال الهملايا حيث شيوخ وحكماء شاركهم في اختبار علم المعرفة. مجدلاني تحدث لـ"المدى" عن الايزوتيريك وفوائده والمنتسبين اليه في لبنان والعالم العربي.